

خطبه الجمعة - الخطبة ١٥٨ : خ ١ - المصيبة ، خ ٢ - جهاز التعرق عند الإنسان.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-٠٢-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كانا لنهندي لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتمادي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنُ بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير إنك على كل شيء قادر .

حقائق حول المصيبة :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في سورة القصص آية كريمة توضح أشياء كثيرة في حياتنا ، ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبُهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيُقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص : ٤٧]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يستتبع من هذه الآية حقائق كثيرة .

الحقيقة الأولى :

أن المصيبة آية مصيبة ، لا بد من أن تكون جزاء ، وفاق لم اقترفته أيدي الإنسان .

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبُهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص : ٤٧]

((ما من عترة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يغفر الله أكثر))

[ابن عساكر عن البراء تصحيف السيوطي ضعيف]

﴿ مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بَعْدَ أَبْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْنَتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا ﴾

[سورة النساء : ١٤٧]

النبي عليه الصلاة والسلام زار أحد أصحابه الكرام ، وكان مريضاً قال يا رسول الله : ادع الله أن يرحمني ، فقال : يا رب أرحمه ، فقال الله عز وجل : كيف أرحمه مما أنا به أرحمه ، وعزتي وجلاي لا أقبض عبدي المؤمن ، وأنا أحب أن أرحمه إلا ابنتيه بكل سينية كان عملها سقماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبة في ماله أو ولده ، حتى يلقاني كيوم ولدته أمه . الآيات والأحاديث كلها تؤكد أن المصائب دفت أو جلت ، سواءً أكانت مادية أو معنوية ، سواءً أكانت قريبة أم بعيدة ، أية مصيبة .

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

[سورة الحديد : ٢٢]

((ما أصابت عبداً مصيبةً فما فوقها إلا بإحدى خلتين : بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بذلك المصيبة ، أو بدرجة لم يكن الله ليبلغه إليها إلا بذلك المصيبة))

[أبو نعيم عن ثوبان]

فذلك ربنا سبحانه وتعالى في سورة القصص يقول :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص : ٤٧]

ماذا كان يحصل ؟ كان هؤلاء الذين تركهم الله هملاً ، لم يعالجهم ، لم يضيق عليهم ، لم يذكرهم ، لم يلفت نظرهم ، تركهم في ضلالهم ، في انحرافهم ، في غفلتهم ، في بحبوحتهم في لهوهم ، في لعبهم ، في انغماسهم في الدنيا ، لو أنه تركهم على ما هم عليه حتى جاء أجفهم ، وقضتهم ، فإذا هم من أهل النار ، عندئذ يعتبون على الله عز وجل .

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ أَيَّاتِكَ وَكَوْنَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص : ٤٧]

إذاً الذي وقع لا بد من أن يقع ، ولو لم يقع لكان هذا نقصاً في حكمة الله سبحانه وتعالى .

المصيبة إما جزاء أو قضاء وقدر :

أيها الإخوة الأكارم ؛ لكن هناك نقطة دقيقة جداً ، سؤال : إلى أي حد يعد الذي أصابني جزاء تقصير ، وإلى أي حد يكون الذي أصابني قضاء وقدراً ؟ . إذا كان هناك تقصير ، إذا كان هناك غفلة ، فهذا الذي أصابني هو قطعاً جزاء التقصير ، وجاء الغفلة ، وعقاب المعصية .

أما إذا كان هناك انضباط واستقامة وصحوة وبيظة وإقبالاً وجاءت المصيبة ، فهذه المصيبة من نوع القضاء والقدر التي هي بكل تأكيد رفع لدرجة المؤمن .

((ما أصابت عبداً مصيبةٌ فما فوقها إلا بِإِحْدَى خلتين : بِذَنْبٍ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيغْفِرْ لَهُ إِلَّا بِتَلْكَ
الْمَصِيبَةِ ، أَوْ بِدَرْجَةٍ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَبْلُغَهُ إِلَيْهَا إِلَّا بِتَلْكَ الْمَصِيبَةِ))

هذه الآية اقرؤوها ، واحظوها ، وتأملوها ، وتتدبروها ، وتعملوا فيها ، واجعلوها أساساً في
عقيدتكم ، الشيء الذي وقع لا بد من أن يقع ، ولو لم يقع لكان ذلك نقصاً في حكمة الله سبحانه
وتعالى ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما
أخطأه لم يكن ليصيبه))

[رواه أحمد والطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء]

((لَا تَقْنُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَّا كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ
الشَّيْطَانِ))

[رواه مسلم عن عن أبي هريرة رضي الله عنه]

ليس هناك كلمة لو في قاموس المؤمن .

((قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))

وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن))

[رواه الحاكم في تاريخه ، والقضاعي عن أبي هريرة تصحيف السيوطي ضعيف]

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى فَتَكُونُ مِنَ الْمُعْذَبِينَ ﴾

[سورة الشعراء الآية : ٢١٣]

((الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن))

أيها الإخوة الأكارم ؛ ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، نهاية العلم التوحيد ، ونهاية العمل
القوى ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((وإن المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض))

[الحكيم عن جندب بن عبد الله]

يعني النبي عليه الصلاة والسلام يعطينا وصفاً دقيقاً للمؤمن ، فمن كان هذا الوصف منطبقاً عليه
فليستبشر ، ومن كان هذا الوصف غير منطبق عليه فليحذر وليتذر أمره قبل فوات الأوان .

((وإن المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض))

رجل لقي عمر في الطريق قال أتحبني ؟ قال لا ، قال أو يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي
، قال لا ، قال إذا إنما يأسف على الحب النساء .

﴿ وَلَا يَجْرِمْنَكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنَّا تَعْدِلُوا اعْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

[سورة العنكبوت الآية : ٨]

أمرني ربِّي بتوسيع خشية الله في السر والعلانية ، القصد في الفقر والغني ، العدل في الغصب
والرضى ، الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلية الظلماء ،

وأنه أن تحب على شيء من الجور ، وأن تبغض على شيء من العدل ، يعني إذا كان هناك جور أحببت فهذا شرك ، إذا قدمت لك نصيحة عادلة وانزعجت فهناك شرك ، فالمؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، فإذا أحب إنساناً وكان هذا الإنسان منحرفاً ، وبقي يحبه فقد وقع في الإثم ، لأن المؤمن لا يحب إلا المؤمن ، المؤمن لا يتصل ، ولا يميل قلبه ولا يقدم اهتمامه إلا للمؤمن الكامل ، فإذا أحب ، قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقى))

[رواه أبو داود والترمذى بإسناد لا يأس به]

((ولا يضيع ما استودع))

[الحكيم عن جندي بن عبد الله]

الأولاد وديعة عند أبيهم ، الطلاب وديعة عند معلمهم ، المرضى وديعة عند الطبيب ، الموكل وديعة عند المحامي ، أي شخص أوكلك بأمر فهو وديعة عندك ، والمؤمن لا يضيع ما استودع ، لا يخون ، لا يغش ، لا يحتال ، لا يدلس ، لا يكذب ، لا يوهم ، لا يبتز أموال الناس .

((ولا يضيع ما استودع))

((ولا يحسد ولا يطعن ولا يلعن ، ويعرف بالحق ، وإن لم يشهد عليه))

[الحكيم عن جندي بن عبد الله]

الله هو الشهيد ، ما لك لك ، وما ليس لك ليس لك ، أمعه وثيقة ، ليس معه سند ، أمعه إيصال ، ضيع الإيصال ، يعترف بالحق ، وإن لم يشهد عليه ، يحتمكم الله عز وجل ، لا يقول لخصمه اذهب أبواب المحاكم مفتحة أمامك ، يعترف بالحق ، وإن لم يشهد عليه .

((ولا يتنازع بالألقاب))

[الحكيم عن جندي بن عبد الله]

لا يسخر من الناس ، لا يهينهم ، لا يحتقرهم ، لا يسخر منهم .

((في الصلاة متخشعاً ، إلى الزكاة مسرعاً ، في الزلزال وقوراً ، في الرخاء شكوراً قاتعاً بالذى له لا يدعى ما ليس له))

[الحكيم عن جندي بن عبد الله]

هذه بعض صفات المؤمن ، إن النبي عليه الصلاة والسلام حينما يذكر صفات المؤمن إنما يذكرها ، لتكون هدفاً لنا ، ومقاييساً ، وتتشيراً ، إن كانت مطابقة فهي بشاره ، وإن كانت مخالفة فهي تنبية ، وفي الوقت نفسه هدف يجب أن نسعى إليه .

ققام الدين الخلق الحسن :

قمام الدين الخلق الحسن ، النبي عليه الصلاة والسلام بما أثني الله عليه بالخلق الحسن .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم الآية : ٤]

فإن ذلك إنسان دين بلا خلق حسن هذا لا يكون ، هذا مستحيل ، لا بد عندئذ من أن يكون منافقاً ، من عالمة إيمان المؤمن بالخلق الحسن .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الذي يلفت النظر في النبي عليه الصلاة والسلام ، هذا الخلق الحسن الذي سحر به أصحابه ، حتى أن أبي سفيان يقول : ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٌ مهداً .

بنت حاتم طي وقعت أسيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت أديبة وذكية ، فلما مر بها وقفت وقالت يا رسول الله : من علي من الله عليك ، قالت يا رسول الله : هلك الوالد وغاب الوافد ، قال : من الوالد ؟ أبوها حاتم طي ، ومن الوافد ؟ أخوها عدي بن حاتم قالت : من علي من الله عليك ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلي عنني ، ولا تشمث بي الأعداء ، ولا تشمث بي أحياء العرب ، فإن أبي كان سيد قومه ، يفك العاني ، ويحفظ الجار ، ويحمي الدمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائباً ، أنا بنت حاتم طي ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه))

[رواه الترمذى عن علي كرم الله وجهه]

نقطة دقيقة جداً : قد يتحلى الإنسان بمكارم الأخلاق ، بدافع من ذكائه ، بدافع من حبه للسمعة الطيبة بين الناس ، ولكن هذا ليس له في الآخرة من خلاق ، ولكن الله سبحانه وتعالى يرضى عنا إذا تحلينا بمكارم الأخلاق ابتغاء مرضاه الله عز وجل .

((يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق))

[رواه الترمذى عن علي كرم الله وجهه]

ثم قال عليه الصلاة والسلام :

((ارْحَمُوا ثَلَاثَةً : عَزِيزٌ قَوْمٌ ذَلٌّ ، وَغَنِيٌّ قَوْمٌ افْقَرٌ ، وَعَالِمًا بَيْنَ جُهَالٍ))

[السليماني في الضعفاء من حديث أنس وضعفه ، وقال ابن الجوزي : إنما يعرف من كلام الفضيل بن عياض ، وأخرجه ابن حبان في تاريخه من حديث ابن عباس ، والديلمي من حديث أبي هريرة بأسانيد واهية]

وصية نبوية ، ارحموا ثلاثة : عزيز قوم ذل ، رواية ثانية :
((ارحموا عزيز قوم ذل ، وغريا افتر ، وعالما بين جهال))

وامتن على قومها ، فأطلقهم تكريماً لها ، عندئذ استأنته بالدعاء له فأذن لها ، فقالت له ، قال لأصحابه : أسمعوا ووعوا ، قالت : أصاب الله ببرك موقعه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ، هذه دعوة ثمينة ، أصاب الله ببرك موقعه ، يعني كأنها تمنت ، أو دعت للنبي عليه الصلاة والسلام أن يكون بره في أهله ، في مستحقيه ، إذا أحب الله قوماً جعل صناعهم في أهل الحفاظ ، يصنع

المعروف مع من يستحق ، ومع من يحفظ المعروف ، أصاب الله يبرك مواجهه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم ، إلا جعلك سبب في ردها عليهم ، فلما أطلقها ، ورجعت إلى أخيها عدي ابن حاتم ، بدومة الجندل ، قالت له يا أخي : أنت هذا الرجل تقصد النبي عليه الصلاة والسلام ، قبل أن تعلق حبائله ، فإني رأيت هدياً ، وسمتَا ، وسيغلب أهل الغلبة ، ورأيت خصال تعجبني ، قالت : يا أخي إنه يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ، ولا أكرم منه ، فإن يكننبياً فلك منه الفضل ، وإن يكن ملكاً فلن تزال في عزة ملكه ، وكلكم يعلم كيف أن عدي بن حاتم وفدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن ، وأسلم ، وحسن إسلامه .

أيها الإخوة المؤمنون ؟ ما الذي يفرق بين الحيوان والإنسان ، في الحيوان أجهزة كما عند الإنسان ، هذا يأكل وهذا يأكل ، وهذا يشرب وهذا يشرب ، وهذا يتواجد وهذا يتواجد ، هذا ينام وهذا ينام ، هذا يعمل وهذا يعمل ، ما الذي يرفع من قيمة الإنسان ، العلم والأخلاق ، فإذا أ glyc العلم والخلق ، فقد عاد الإنسان إلى طور البهيمية ، هذا الكائن الذي يسعى لشهوته بأية طريقة ، من أي سبيل ، بأي ثمن ، لا يرحم الصغير ، ولا يحب الفقير ، ولا يعرف قدر الكبير ، إنه كالبهيمة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبو ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلانتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هوها وتنمى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

جهاز التعرق عند الإنسان :

أيها الإخوة الأكارم ؛ في الإنسان جهاز للتبريد ، ويسميه بعض العلماء جهاز التعرق هذا الجهاز كما قلت قبل قليل ، بمثابة جهاز التبريد ، وجهاز التنظيم الحراري للإنسان ، يتتألف هذا الجهاز من مليون وحدة تبريد ، يعني من مليون غدة عرقية ، مليون ، والغدة العرقية الواحدة تتتألف من أنابيب طوله مليمتران ، قطره عشر المليمتر ، هذا الأنابيب يلتقي على نفسه ويتصل بالجلد ، هذه الأنابيب تتوزع على سطح الجلد بشكل غير متساوي ، تكثر في الجبين ، وفي أخمص القدم ، وباطن الكف ، وفي أماكن أخرى من الجسم ، بمعدل ثلاثة مئة غدة عرقية في السنتمتر الواحد ، وكل غدة عرقية جهاز تبريد كامل ، وهذه الأنابيب المليون إذا وصلت ببعضها ببعضًا بلغ طولها

خمسة كيلومتر ، في كل جسم ، وفي كل مئة غرام من العرق الذي تتضح بها هذه الخلايا ، تسع وتسعون غرام ماء ، وغرام واحد من المواد المنحلة ، نصفها من الملح ، ونصفها من البولة ، وبعض المواد الكيميائية الأخرى ، والإنسان يفرز من العرق في الأربع والعشرين ساعة من ستمائة غرام إلى ألف غرام ، إلى ما يعادل كيلو من العرق ، كيلوغرام يعني ، ألف غرام ، كل أربعة وعشرين ساعة ، وإفراز العرق مستمر ولا نشعر به إلا إذا كان غزيراً ، والدليل على أن هناك إفرازاً مستمراً ، لليونة الجلد ، ورطوبته بسبب التعرق ، ولو لا العرق لما كان هناك لليونة ، ولما كان هناك رطوبة ، والتعرق أيها الإخوة صمام آمان لارتفاع حرارة الجسم كيف أن بعض الألوان البخارية ، يخاف أن تفجر لها صمام آمان ، وكذلك الجسم ، لو أن الحرارة ارتفعت فوق معدلها لمات الإنسان ، لذلك هناك صمام آمان ، فإذا ارتفعت حرارة الجسم من الداخل ، أو كان هناك حرارة من الخارج ، فإن هذه الأجهزة تفرز الماء الغزير ، وهذا الماء الغزير يمتص الحرارة الزائدة فيتبخر ، وبهذه الطريقة يحافظ على حرارة الجلد المعتدلة .

أيها الإخوة المؤمنون ؟ من وظائف التعرق طرح البولة ، وتلين الجلد ، وتنظيم حرارة البدن ، لذلك يجب العناية بتنظيف الجسم لإزالة آثار التعرق الكريهة ، يعني في عنا ملح ، وفي حمض بولة ، تماماً كما في البول ، فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول : أغسل ولو مداً بدينار . غسل الجمعة يرقى إلى الواجب ، وقد يقترب من الفرض ، غسل الجمعة ، لإزالة أسباب التعرق، وحق الله على المسلم أن يغتسل كل سبعة أيام ، كما ورد في الحديث ، والنظافة من الإيمان ، فبهذا التنظيف تزال رائحة التعرق الكريهة ، وتزال رواسب التعرق بعد التبخر ، وتفتح مسام الجلد ، وتفتح فوهات عدد التعرق .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك اللهم لنا فيمن أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنه تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تبارك ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت نستغرك ونتوب إليك اللهم أعطنا ولا تحربنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا ، اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك ، نعوذ بك من عصال الداء ، ومن شماتة الأعداء ومن السلب بعد العطاء ، مولانا رب العالمين ، اللهم اسقينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغفر ذنبنا واستر عيوبنا واقبل توبتنا ، وفك أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا واختتم بالصالحات أعمالنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق

والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولا تهم إلى ما تحب وترضى إنه على ما
تشاء قادر وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين